

وتابع حتى قبل أن يجيبه صديقه، وكأنه لم يكن يستطيع التوقف، وكان كلماته كانت قد اندفعت:

- لن أقول للذين سيُقبلون إليّ بعد اليوم أن ينتظروا، ولن أَدعوهم إلى الانضمام إلى موكبي. لسوف نكون مئات وألوفاً، ونثير من الغبار أكثر مما يثير جيش، ونحفر على جلد الدنيا ثلماً لن يمحي أبداً.

وإذ قال ذلك فقد حثَّ الخطو. وعليه فإن «مالكوس» لم يسعَ إلى اللحاق به. وجلس على صخرة كبيرة في حين كان صديقه يبتعد.

وقد تساءل «الصُوريّ» قائلاً: «كيف أستطيع بعدُ أن أتبعه؟» ولم يكن يتحدث عن هذا السباق اللامعقول خلال شوارع العاصمة، بل كان قد أخذ يفكر في تلك المرحلة الأكثر لامعقولية أيضاً، تلك السياحة في أربعة أرجاء المعمورة التي كان «ماني» قد دعاه قبل قليل إليها.

«دعاه... أتكون هذه الكلمة هي المناسبة حقاً؟»، هذا ما تساءل عنه «مالكوس»، وتنتكرت الابتسامته التي كان قد رسمها في تكشيرة ألمٍ بفعل التعب. إنه منذ ذلك اللقاء الأول في مقصف بستان النخيل لم يكن قد رفض قط شيئاً لـ «ماني». وكان يحدث له أن يناقش، أن يشاكس، أن يشتم، أن يُؤالي أن... ولكن ما الجدوى، لقد كان الأمر ينتهي به إلى أن يفعل بالضبط ما كان صديقه يريد. وإذا حدث أن سعى في بعض الأيام إلى المقاومة فقد كانت «كُلُويّه»، زوجته، هي التي تتدخل لمصلحة الآخر.

ومع ذلك فإنه لن يقدر أبداً له ولا لها أن يشاطرا «الرسول» اهتماماته. وربما كان ذلك هو الأمر الفريد في صداقتهم. فالعيش إلى جانب مؤسس عقيدة من غير أن يسعى إلى فرض قناعاته، إن مثل هذا لم يكن ليُعقل إلا لأن «ماني» كان ما كان، رسول دين سَمح. ولأن ربّه لم يكن يبحث عن عبدة.

لم يكن لـ «الصُوريّ» ما يفعله بالأفكار الدينية، فقد التقى ببساطة رجلاً حكيماً، حكيماً مفتوناً بالجمال، شخصاً يودّ كل كائن بشريّ أن يصبح صديقه.